الفقه في مدينة دمشق في القرنين الرابع والخامس للهجرة

أنور محمود زناتي
مدرس مساعد – قسم التاريخ
كلية التربية – جامعة عين شمس
جمهورية مصر العربية
anwar_zanaty@mail.com

تعتبر مدينة دمشق من أكثر المدن الإسلامية تعرضاً للغزو العسكري والثقافي المستمر، وكانت بلاد الشام في ذلك الوقت تابعة للدولة الإخشيدية [١]، ولما آلت مصر إلى الفاطميين، كان من الطبيعي أن يوحدوا بينها وبين البلاد التابعة لها، وخاصة أن من يحتل دمشق يستطيع أن يتخذها مركزاً يوجه منه حملاته إلى بلاد العراق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان من الواجب أن يظل نفوذ مصر قوياً في بلاد الشام كما كان أيام الإخشيديين والطولونيين [٢] من قبل، وقد كانت السيطرة على بلاد الشام تمثل أولوية إستراتيجية لكل نظام يتولى حكم مصر. وقد حرص الفاطميون على تقلد زعامة العالم الإسلامي، ومن ثم وجهوا عنايتهم إلى توسيع نطاق دعوتهم وبسط سيطرتهم على أراضي الدولة العباسية [٣] أو على الأقل يقفون كحجر عثرة أمام محاولات العباسيين الانتقام من فتح مصر فتكون بلاد الشام خط الدفاع الأول عنها [٤].

ونحاول في هذا البحث طرح إشكالية الفقه في دمشق طوال الفترة من (٣٥٩ – ٤٨٦ هـ / ٩٩٩ – ١٠٧٣م)، حيث وقعت دمشق تقع تحت حكم الولاة الفاطميين، ولما كانت الدولة الفاطمية قد قامت على أساس تشابكت فيه السياسة مع الدين إلى حد أن كل تنظيم سياسي في هذه الدولة كان انعكاساً لروح العقيدة الفاطمية نفسها حتى أصبحت أصدق مثال للدولة الدينية العقائدية (الثيوقراطية)، وكانت الدعوة هي عمادها، وكانت وظيفة داعي الدعاة من مفردات الدولة الفاطمية على حد قول المقريزي [٥].

ولم يكد جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله ينجح في فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م، ويتمكن من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي على منابر مصر ويشرع في تأسيس القاهرة المعزية لتكون مركزا للخلافة الفاطمية حتى أخذ يولي وجه شطر بلاد الشام، ويتطلع لفتحها للقضاء على بقايا النفوذ الإخشيدي فيها ولتأمين حدود مصر من جهة الشام، والوقوف أمام الروم والقرامطة الذين كانوا قد اجتاحوا بلاد الشام، وأوقعوا الهزيمة بقوات الإخشيديين سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧ م [٦].

ولم يمض عام واحد على استقرار جوهر في مصر حتى سَيّر حملة إلى بلاد الشام في أواخر سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م بقيادة جعفر بن فلاح [٧] الذي تمكن من دخول دمشق في المحرم من سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م بعد انتصاره في موقعتين حاسمتين في " الرملة " و " طبرية"، وعلى الفور خطب للخليفة الفاطمي المعز على منابر دمشق، وفي يوم الجمعة التالي حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة فثار أهالي دمشق وفق رواية أبي الفدا وقطعوا الخطبة للمعز، وسرعان ما قَضَى جعفر بن فلاح على الثائرين وأعاد سلطان الفاطميين [٨].

وقد استفاد الفاطميون من أوضاع بلاد الشام المتردية ؛ فكان هناك صراع على النفوذ بين الحمدانيين [٩] والإخشيديين، وصراع بين الحمدانيين أنفسهم بعد وفاة سيف الدولة الحمداني، فبعد استيلاء الفاطميين على دمشق وقعوا في نزاع مع القرامطة، فهاجم القرامطة البلاد، محاولين السيطرة عليها، والحصول على أكبر مكسب مادي منها لأن دمشق كانت تدفع الجزية من قبل لزعيم القرامطة ومقدارها ثلثمائة ألف دينار كل سنة فغدت هذه الجزية لا تدفع إليهم بعد استيلاء الفاطميين على هذه المدينة [١٠].

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
أنور محمود زناتي، الفقه في مدينة دمشق في القرنين الرابع والخامس للهجرة.- دورية كان التاريخية.- العدد السابع ؛ مارس ٢٠١٠. ص ١٥ – ١٨ .
(www.historicalkan.co.nr)

وفي أول الأمر قام القادة الفاطميين بإحلال التشريع الشيعي مكان التشريع السني في القضاء والفتيا [١١] ، وباشروا تغيير الصيغة المذهبية الولائية للمدينة من خلافة بغداد العباسية السنية إلى خلافة القاهرة الفاطمية الشيعية ، وعملوا على نشر دعوتهم الإسماعيلية بين أهالي دمشق ، وقاموا بتوظيف المراكز الدينية التي تمثلها المساجد من قبل دعاتها لإعلان دعوتها الإسماعيلية بتنفيذ تلك الصيغة بدءاً من الآذان فجعلوه " بحي على خير العمل" ، بدلا من " حي على الفلاح " ، وذلك لأنهم يرون أن عمر بن الخطاب —رضي الله عنه —قد غيّر في الصيغة التي تنوقلت عن النبي —صلى الله عليه وسلم - ؛ فقد كان عمر يرى أن الناس إذا سمعوا أن لصلاة خير من العمل ، تهاونوا في الجهاد وتخلفوا عنه [١٢] وفي صلاة الجمعة جهروا بصوت عال بالبسملة [١٣] ، وزادوا صيغة القنوت في الركعة الثانية ، التي مؤداها : " اللهم نحن ليك قانتون " ، وعلى النقيض أزالوا ما زاده أهل السنة في هذه الصلاة من قراءة " سبح باسم ربك " و " التكبير بعد الصلاة " [١٤] .

وطبقوا نظام أوقات الصلاة عن طريق المزولة وعدم اعتماد التوقيت الشمسي [١٥] . وفي الصيام ، جعله الفاطميون على حساب لهم ، ثلاثين يوماً لا أكثر ولا أقل ولا يكون على الرؤية بطلب الهلال [١٦] ، حتى لا يحدث اضطراب في إفطار المسلمين في أرجاء دولتهم الواسعة نتيجة الاختلاف الزمني في رؤية الهلال. كما ألغوا صلاة التراويح [١٧] لأنهم لا يرونها مشروعة الجماعة ؛ إذ لا جماعة إلا في فرض.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن كلّس بلغ في الفقه الجعفري الفاطمي درجة عالية [١٨] أهلته لأن يؤلف الكتب والمراجع ، وقد ذكر أن عددها بلغ المائة ، ولكن هذا العدد الكبير من المؤلفات فقد ولم يبقَ منه إلا "الرسالة الوزيرية" في مختصر الفقه ، وبالنظر لأهمية هذه الرسالة فإن الخليفة الفاطمي "الظاهر لإعزاز دين الله" طلب إلى الدعاة والمستجيبين بأن يعمموها ويحفظوها عن ظهر قلب ، وإلى القضاة بأن يصدروا فتاويهم في الفقه والقانون بموجبها [١٩] .

ومنذ عهد الحاكم بأمر الله ، تميزت الدعوة بالدعوة الباطنية وهو ما عرف بالتأويل وأن لكل ظاهر باطن وقد اعتبر التأويل أو علم الباطن ملكا لأسرة علي ومعجزته فهو العلم اللدني قرين القرآن الكريم الذي نقله النبي —صلى الله عليه وسلم -إلى علي رضي الله عنه ليتوارثه الأمة من بعده ، ونقلوا عن النبي —صلى الله عليه وسلم -قول " أنا صاحب التنزيل ، وعلي صاحب التأويل " ، وأن هذا التأويل يزداد من إمام لآخر [٢٠] .

وقد نالت وظيفتا القضاء والخطابة بدمشق اهتمام الفاطميين حتى زوال حكمهم بها ، لما تقدمه لهم من خدمة في التشريع الإسماعيلي. وتذكر المصادر أنه لم يكن الفقهاء والعلماء المالكية العنصر المشارك بمنصب القضاء في العصر الفاطمي ؛ وإنما كان هناك قضاة شافعية وأحناف وحنابلة أيضاً فيذكر ابن حجر أنه بعد مقتل القاضي مالك بن سعيد الفارقي وخلو منصب القضاء فتقلده أبو العباس بن العوام الحنبلي المذهب وتولى منصب القضاء على مصر وبرقة وصقلية والشام [٢١] .

وعلى هذا الأساس تم البناء السياسي والمذهبي بالمشاركة في العصر الفاطمي بدمشق في تلك الفترة بعد أن سمح الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٧ م لأصحاب المذاهب السنية العمل في الوظائف الفاطمية وعدم التعرض للصحابة والسلف [٢٢]

وكان فقهاء الدولة الفاطمية يرون أنه لا يوجد فرق بين التشريعين إلا في الفقه وتفسير أصول الدين ، إذ جعلوا تفسير أصول الدين وقفاً على الإمام وحده ، بحكم أنه وارث العلم الإلهي فهو المجتهد المطلق فإذا سمح به لغيره فهو مجتهد مقيد ، كذلك قاموا بتغيير نظام المواريث وجعلوه أساس رأي أهل البيت فيجيز أن ترث البنت كل ما تركه أبواها إذا لم يكن لها أخ أو أخت مع وجود ذوي العصبية ، وهذا يخالف مذهب السنة الذي لا يقضي بألا ترث البنت أكثر من نصف الثروة [٢٣] .

وكان من المعروف عن سياسة الفاطميين أنها كانت وجهة إلى غاية أساسية ، وهي العمل بكل جد لحمل الناس على اعتناق مذهبهم ولكن الأمر العجيب واللافت للنظر أنه وعلى الرغم من استمرار الحكم الفاطمي لدمشق وما تخلله من اضطراب سياسي واقتصادي بين ولاتها وأهالي دمشق قرابة القرن لم تذكر المصادر التاريخية أن ولاتها قد اتبعوا سياسة عدائية ضد علمائها وفقهائها السنة أو منعهم من ممارسة دورهم الديني والتعليمي ، وفي القدوم والترحال منها واليها [٢٤] حتى أن الوزير الفاطمي يعقوب بن كِلّس [٢٥] وزير المعز قد استشير من قبل خليفته حول السياسة التي يجب اتخاذها لاستمرار حكمهم بالشام فقال له : " سالم يا أمير المؤمنين الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة "[٢٦] .

ومن المشهور عن هذا الوزير أنه بأنه كان يجمع في قصره العلماء والفقهاء ، ويعين فرق الكتاب لنسخ كتب الفقه والقانون والحديث ، وقد عيَّن على مقربة منهم فرقةً خاصة مهمتها التصحيح والمقابلة والضبط والتصويب لكل ما يكتبه الكتَّاب [٢٧] .

ونلاحظ أن يعقوب لم يحرض المعز على اضطهاد علماء الشام وفقهائها السُنة أضف لذلك لأن المدينة لم في المجئ إليها والاستقرار بها ، وطلب العلم من علمائها . كما أجازت مراسم الفاطميين للمؤذنين السنة أن يستعملوا العبارات المعتاد ذكرها في الصلاة حسبما يرون ، وألا تقدم شكاوى لسبب من الأسباب التي تتعلق بذكر هذه العبارات ، وألا يسب أحد من الخلفاء الأول ، ولا يمنع أحد من أن يقول هذه العبارة التي تنطوي على احترامهم وإجلالهم وهي : " اللهم ارحمهم " إذا ما ذكر أسماءهم ؛ وبذلك عوملوا معاملة الأبرار وإذا أراد أحد أن يستعمل هذه العبارة التي تدل على أسمى مراتب التعظيم لعلي وهي : " اللهم ارحمه " فلا حرج عليه ، وكان الحاكم بأمر الله يأمر بمحو أي لعن للسلف [٢٨] وكتب سجلاً بذلك ليقرأ في كل مكان على جميع الناس [٢٩] .

وجعل لكل مسلم الخيار في إتباع الرسوم السنية أو الشيعية [٣٠] وتم إبطال الكثير من الرسوم الشيعية البحتة فتم إعادة القنوت في الصلاة ، وكان الحاكم قد أبطل في سنة ٣٧٠ هـ، والسماح بصلاة الضحى ؛ وهذه من الصلوات التي تؤدى في ضحى اليوم من ارتفاع الشمس قدر رمح إلى الزوال ؛ وكان الحاكم قد منعها منعاً باتاً في سنة ٣٩٣ هـ [٣١] ، بل وأنشأ الحاكم بأمر الله مدرسة لتعلم المذهب السني. وتم إصدار مرسوم يجيز للناس صوم رمضان وفطره بمقتضى حساباتهم الفلكية ، بل وتم تعديل القاعدة الشيعية التي تجيز للبنت أن تستولي على جميع الثروة التي يخلفها أبواها إذا انفرت بالميراث [٣٢] .

ومن السجل الذي كتبه الخليفة الحاكم الفاطمي لقاضي قضاته الحسين بن علي بن النعمان [٣٣] وأُسندت إليه مقاليد الدعوة وأخذ لقب " قاضي القضاة وداعي الدعاة " نرى أن سلطته شملت رياسة القضاء في مصر وبلاد الشام ، وأ ن عمله تعدى ذلك إلى النظر في شئون

موظفي المساجد من الأئمة والقوامين عليها والمؤذنين بها وغيرهم ، كما أصبح له الإشراف على دور الضرب ورسم له الخطة التي يسير عليها ، فأمره بتقوى الله في السر والعلانية ، والمحافظة على شعائر الدين ومراعاة حدوده ،وأمره أن يجعل الحكم في المواضع الظاهرة ويرفع عنهم حجابه ويفتح لهم أبوابه ويحسن لهم انتصابه ويقسم بينهم لحظة ولفظة ولا يحابي فيها قويا لقوته ولا يُردي فيها ضعيفا لضعفه بل يميل مع الحق ويجنح إلى جهته "[٣٤].

وقد لاحظ القلقشندي أن " مذهبي مالك والشافعي ظاهري الشعار في زمن الفاطميين "[٣٥] ، وعند النظر في كتب الطبقات والتراجم والأعلام والوفيات نجد التأريخ لعدد كبير من الشخصيات العلمية والفقهية ممن عاشوا في الفترة الفاطمية ومارسوا وظائف دينية وعلمية وساهموا مساهمات فعالة في نشر العلوم الفقهية والشرعية في الإقراء والرواية والاستماع ومداولة الحديث النبوي الشريف ومثال على ذلك أننا وجدنا الذهبي في تاريخه قد أرخ لنحو خمس وأربعين فقيه وعالم سنة وشيعة خلال حوادث (٤٥١ – ٤٦٧ هـ) ووجدنا الفقيه الشافعي رشأ بن نظيف بن ما شاءالله أبا الحسن الدمشقي (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢ م) قد أوقف داره التي بدار الخزاعية شمال الخانقاه السيميساطية للقراء في حدود سنة أربعمائة وعرفت بدار القرآن الرشائية وجاء إنشائها بطبيعة الحال بموافقة السلطة الفاطمية بدمشق لأن كل كتب التراجم لا تشيد إلا بواقفها فقط وكانت الدار تقدم خدمات عامة للسنة والشيعة معاً .وما يؤكد عدم تعرض علماء وفقهاء السنة لأي نوع من أنواع الاضطهاد والأذى أننا إذا ما تتبعنا السير الذاتية لعلماء وفقهاء دمشق نجد أن لهم هم وصفا دقيقا لنشاطهم العلمي والشرعي الواضح من أمثال أبو هاشم عبد الجبار السلمي ، احمد بن محمد بن سعيد ، أبو سليمان بن ربيعة ، الحسن بن علي الرهاوي أبو القاسم البجلي ، الربعي علي بن محمد المالكي ، الحسن الأهوازي ، احمد بن علي الكفرطابي الخ[٣٦].

وذكر لنا ابن حجر قضية رجل ادعى ملكية حمام كان لجده وكان ينبغي أن ينتقل لأمه حسب قانون الشيعة وكان لقاضي السني أبو الطاهر قد حكم في هذه القضية بأ نه لم يكن لهذا الشخص الحق في ادعاء الملكية لأن جده قد وقف لحمام على الأعمال الخيرية إلا أن القاضي الشيعي ابن أبي ثبان أبطل الحكم وحكم لصالح الرجل الشيعي إلا أن الخليفة المعز أمر بإبطال حكم القاضي الشيعي ابن أبي ثوبان ليزيل السخط الذي دب في نفوس الشهود السنيين[٣٧]. ولم يشكل الفقهاء والعلماء من عاصروا الفترة الفاطمية أي خطر على الدعوة الفاطمية وكان نشاطهم الديني والعلمي يتمشى وسياسة الأمر الواقع وسادت كثير من المصادر بتشجيع الفاطميين لنشا ط القراءات وتداول رواية الحديث الشريف بالجامع الأموي الذي اعتمده علماء وفقهاء السنة والشيعة معا حتى نهاية الفترة الفاطمية بدمشق[٣٨].

خلاصة الأمر أنه لم تنجح الحامية الفاطمية بدمشق في تحقيق سياستها المذهبية على مدى القرن تقريبا بين أهلها وكان تأثيرها ضعيفاً لأنهم لم يتمكنون من حكم دمشق بشكل مستمر ، فكانت تتنازع مدنها أطماع القرامطة والأعراب حيناً ، وأطماع الروم حيناً آخر ، وعندما تكون الغلبة والسيطرة لإحدى هذه الفئات ، تتفنن في فرض الإتاوات والقيام بأعمال السلب والنهب. وهكذا لم ينعم الفاطميون بالاستقرار لاستمرار روح المقاومة بين السكان ضدهم ، مما زاد من معاناة أبناء سورية وانهيار اقتصادها وتهديم أجزاء منها ، بل وحريق جانب من الجامع الأموي في دمشق ، إبان الحكم الفاطمي ، الذي انتهى ليبدأ حكم السلاجقة.

الهوامش

(١) الإخشيديون : سلالة تركية مستعربة حكمت في مصر والشام سنوات ٩٣٥-٩٦٩ م ، راجع ، الموسوعة الإسلامية العامة ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٧٦.

(٢) الطولونيون : سلالة من الأتراك المستعربة حكمت في مصر ، الشام وفلسطين سنوات ٨٦٨-٩٠٥ م. راجع ، الموسوعة الإسلامية ، ص ٩٢٨ .

(٣) محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي ، ص ٣.

(٤) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م ، ص ١٥١ .

(٥) للمزيد راجع ، خطط المقريزي ، ج١ ، ص ٣٩١ .

(٦) راجع ، جيرار ديجورج : دمشق من عصور ما قبل التريخ إلى الدولة المملوكية ، المجلس الأعى للثقافة القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٣٤ ، وعبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوها ، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٥ م ، ص ٢٩٣ .

(٧) جعفر بن فلاح : من قبيلة كتامة من البربر ، ومن قواد المعز .

(٨) أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج٢ ، ص ١١٥ .

(٩) الحمدانيون : سلالة عربية حكمت في بلاد الفرات والشام من ٢٩/٩٠٤-١٠٠٣ م. وكان مقرها الموصل وحلب. ينحدر الحمدانيون من قبيلة تغلب العربية. لمع نجمهم أثناء عهد مؤسس السلالة حمدان بن حمدون ، والذي أصبح سنة ٨٩٠ م واليا على منطقة ماردين من قبل العباسيين. راجع ، الموسوعة الإسلامية ، ص ٥٧١ .

(١٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(١١) الخطط المقريزية ، ج٤ ، ص ١٤٦ .

(١٢) النعمان : دعائم ، ج١ ، ص ١٧٢ .

(١٣) الخطط ، ج٤ ، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(١٤) اتعاظ الحنفا ، ص ١٦٨.

(١٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(١٦) الخطط : ج٢ ، ص ٣٨٨ .

(١٧) نفسه : ج٤ ، ص ١٥٧ .

(١٨) Marg oliouth, Cairo ,J erusalemand Damascus, p . 40

(١٩) للمزيد راجع ، عارف تامر : رحلة مع يعقوب ابن كلس ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ٣٠ - السنة الثامنة - كانون الثاني "يناير" ١٩٨٨ م .

(٢٠) راجع ، سيرة المؤيد في الدين ، تحقيق : محمد كامل حسين ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ١٧.

(٢١) للمزيد راجع ، ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سابق ، ص ٣١٠ .

(٢٢) جمال محمد سالم عريكيز: فقهاء الشام ، فقهاء الشام في مواجهة لغزو الصليبي ، عين للدراسات والبحوث الانسانية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣٢ .

(٢٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ .

(٢٤) جمال عريكيز: فقهاء الشام ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢٥) يعقوب بن كلس : هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس من أشهر وزراء مصر في العصر الفاطمي ، كما أنه كان أول وزير للفاطميين بالديار المصرية ، راجع ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٢٦) ابن القلانسي : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سهيل ذكار ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣ م ، ص ٥٦.

(٢٧) للمزيد راجع ، عارف تامر : رحلة مع يعقوب ابن كلس ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ٣٠ - السنة الثامنة - كانون الثاني "يناير" ١٩٨٨ م .

(٢٨) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

(٢٩) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ٧٧ .

(٣٠) الخطط المقريزية ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٣١) نفسه ، ج ١ ، ص ٤٥٨ .

(٣٢) نفسه ، ص ٣١٦ .

(٣٣) صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٣٨٥ – ٣٨٨ .

(٣٤) نفسه .

(٣٥) نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ .

(٣٦) جمال عريكيز: فقهاء الشام ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٣٧) الكندي : قضاة مصر ، ص ٥٨٨ .

(٣٨) جمال عريكيز: فقهاء الشام ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

زيارة جديدة للاستشراق

من مؤلفات
الأستاذ أنور محمود زنائي

أثارت الظاهرة الاستشراقية ، وما زالت تثير جدلا واسعا في مجال الدراسات الفكرية والحضارية ، فقد عملت هذه الدراسات على تشكيل العقل الغربي والشرقي معاً. والاستشراق ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. وكان لحركة الاستشراق قوة دفع ورواج أثارت وأثرت في الفكر الإنساني. لقد حاول الغرب أن يرسم صورا غير سوية لشخصية الرسول ﷺ خلال اصطدامه بالحضارة الإسلامية بل وصل الأمر إلى أن بعض من المستشرقين شكك في وجود النبي حقيقة ، ومنهم من شكك في أسمه وأميته ، ومنهم من قال أنه المسيح الدجال. وهذا الكتاب يقوم بإلقاء الضوء على الاستشراق وإعطاء نظرة جديدة قد تضيف إلى هذا المجال الخصب قطرة من بحر ويحاول أيضا تتبع الظاهرة الاستشراقية وتطورها عبر العصور محللا دوافعها ومحركاتها ونقاط ضعفها وقوتها ، كما يحاول أن يستشف ويستنتج منهادرو سهاالأكثر تأثيرا فينا نحن أهل الشرق ، كما حاول إبراز آراء الصفوة من أولئك المستشرقين الذين كتبوا بموضوعية – إلى حد كبير – عن الرسول ﷺ في ثنايا أعمالهم لأن تلك الأقوال المنصفة سوف تظل جزءا أساسيا في تراث الغرب ولابد من الاطلاع عليه ومعرفته ، ومن العجيب والمثير للتأمل في آن أنه رغم وجود أقلام حاقدة وبعيدة عن روح الإنصاف إلا أننا في ثنايا أعمالهم شهادات تكاد تجب ما قالوه وهو ما يستعرضه الكتاب أيضاً.

من تاريخ الفن

أسماء صلاح

بقيت المرأة رمزاً للجمال ومحوراً للفن والأدب عبر التاريخ ، ولم تقف عند حدود المرأة الملهمة ، بل ساهمت بشكل أو بآخر في بناء صرح العمل الفني. وبين صفحات تاريخ الفن التشكيلي أشرقت المرأة كعنصر مهم في العمل الفني ، تعددت فيه استلهام الفنانين بالرسم أو النحت من جمال الجسد مروراً بدورها في الحياة ووصولاً إلى دخولها معترك المنافسة كفنانة مبدعة.

وفي إطار الاحتفال باليوم العالمي للمرأة نقدم بورتريه شخصي للفنانة السويسرية انجيليكا كوفمان Angelica Kauf fman (١٧٤١ – ١٨٠٧) التي تتلمذت على يد والدها الرسام الفقير لتصبح فيما بعد رسامة ملوك وملكات أوربا. كما اكتسبت من والدتها حب القراءة ، وتعلمت العديد من اللغات ، وعزفت الموسيقى ، فاقتربت من مجتمع المثقفين ، ورسمت شعراء وروائيين ومسرحيين من بينهم الشاعر الألماني "جوته" Goethe (١٧٤٩ - ١٨٣٢) الذي كثيراً ما امتدح ثقافتها ومواهبها المتعددة. لقبت بـ"الآنسة انجيل" ، و"ربّة الإلهام العاشرة لروما" بسبب حضورها الكبير وجاذبيتها الطاغية ، وقيل إن ملامحها تعطي انطباعاً عن امرأة لا تنتمي إلى هذا العالم.

ويُعد هذا البورتريه أجمل ما رسمت الفنانة لنفسها ، فظهرت كسيدة مجتمع مثقفة وعصرية تنظر إلى المتلقي بثقة وفي يديها أدوات حرفتها ، وبجوارها تمثال لمينيرفا Minerva الإلهة الأسطورية راعية الفنانين وأرباب الحرَف. وثمّة احتمال بأنها أرادت من خلال التمثال أن تؤكد على أنها فنانة تنحاز للرسم الكلاسيكي. وتحكي الأسطورة عن انتصار مينيرفا في حربها مع نيبتون للسيطرة على أثينا ، رغم كونها أُنثى ، وهذا احتمال آخر بالإشارة إلى حتمية نجاح النساء في الفن وتبوئهن مكانة تنافس الرجال.